مناسبة ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى
(سورة البقرة)

إعداد
د. وليد محمد عبد الله العلي
مدرس بكلية العقيدة والدعوة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

المقدمـــة

***

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله مـــن شـــرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يظلـــل فـــلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّـــهَ حَـــقَّ تُقَاتِـــهِ وَلاَ تَمُـــوتُنَّ إِلاَّ وَأَنـــتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَـــقَ مِنْهَـــا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

أما بعد : فلما كان العلم النافع للعمل الصالح قرينًا صـــادقًا ؛ وشـــرفه لشرف معلومه تابعًا ولاحقًا : كان أشرف علم على الإطلاق هو علم التوحيد ، ولا يُعنى به إلا الراسخون في العلم من العبيد .

وذلك (أن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولوثـــوق الـــنفس بأدلـــة وجوده وبراهينه ؛ ولشدة الحاجة إلى معرفته ؛ وعظم النفع بها) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية١٠٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة الأحزاب : الآيتان ٧٠-٧١ .

ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره : فهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين ؛ وقيوم السموات والأرض ؛ الملك الحق المبين ؛ الموصوف بالكمال كله ؛ المنزه عن كل عيب ونقص ؛ وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله .

ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله : أجلُّ العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات ، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها ؛ فهو أصلها كلها ، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ؛ ومفتقر إليه في تحقيق ذاته وأَينيَّته ، وكل علم فهو تابع للعلم له ؛ مفتقر في تحقق ذاته إليه ، فالعلم به : أصل كل علم ؛ كما أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه ومُوجِدُه .

ولا ريب أن كمال العلم بالسبب التا وكونه سببًا يستلزم العلم بمسببه ، كما أن العلم بالعلة التامة كونها على يستلزم العلم بمعلوله ، وكل موجود سوى الله فهو مستند في وجوده إليه ؛ استناد المصنوع إلى صانعه والمفعول إلى فاعله .

فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فهو في ذاته رب كل شيء ومليكه ، والعلم به أصل كل علم ومنشؤه .

فمن عرف الله عرف ما سواه ؛ ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (١) .

فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا ، وهو أن من نسي ربه : أنساه ذاته ونفسه ؛ فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه ، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده ، فصار معطلاً مهملاً بمنزلة الأنعام السائمة ؛ بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه ، لبقائها على هداها الذي

---

(١) سورة الحشر : الآية ١٩ .

أعطاها إياه خالقها ، وأما هذا فخرج عن فطرته التي خلق عليها ؛ فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[1] .

فغفل عن ذكر ربه ؛ فانفرط عليه أمره وقلبه ، فلا التفات له إلى مصالحه وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه ؛ بل هو مشتت القلب مضيعه ؛ منفرط الأمر ؛ حيران لا يهتدي سبيلاً .

والمقصود : أن العلم بالله : أصل كل علم ، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته ، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به ، فالعلم به سعادة العبد ؛ والجهل به أصل شقاوته)[2] .

وقد يسَّر الله تعالى لي بمنِّه وإفضاله ؛ وكرمِهِ ونوالِه : الجمع في تعليمي العالي بين تخصُّصي التفسير والعقيدة[3] ، فأحببت أن أجمع بينهما في البحث العلمي وأنهل من معين مباحثهما المفيدة .

وقد وقع اختياري على موضوع عالَي القدر ؛ ومبحثٍ زاكيَ الذكر ، يُعنى بمناسبة ختم آيات الكتاب المبين ؛ بأسماء رب العالمين ، فعمدت إلى تحرير خطة بحث مُعْتَبَرة ، وقصرت المناسبة على آيات سورة البقرة ، فاجتمع عندي ثلاث وستون آية من آياتها الكريمة ؛ التي ستستخرج المناسبة

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة لابن قيم الجوزية ١/٣١١-٣١٢ .

(٣) حيث حصلت بحمد الله تعالى على شهادة الليسانس من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية المنورة ، وحصلت على شهادتَيْ الماجستير والدكتوراه من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

من مبانيها القويمة ، فتدبرت وتفكرت فيما ختم منها باسم ومـــا خـــتم منهـــا باسمين : فاهتديت إلى تقسيم هذا البحث إلى مبحثين :

المبحث الأول : مناسبة ختم الآيـــات الكريمـــة بالأســـماء الحـــسنى المفردة .

المبحث الثاني : مناسبة ختم الآيـــات الكريمـــة بالأســـماء الحـــسنى المقترنة.

وقدَّمتُ بمقدمة وتمهيد بين يديهما ، وختمتهما بخاتمة وفهارس تيـــسر الوصول إليهما . والله سبحانه وتعالى المسؤول فضله العظـــيم ؛ والمـــأمول نفعه العميم ؛ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، مُدنيًا لمُؤلِّفه وقارئه من جنَّات النَّعيم ، وأن يجعله حجَّة لهم لا عليهم ؛ وأن ينفع به مـــن انتهـــى إليهم .

ومن الله الاستمداد ، وإليه الملجأ والاستناد ، وعليه التَّوكل والاعتماد ، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليه ، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليه .

إنَّه سبحانه خير مسؤولٍ ؛ وأكرم مأمولٍ ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* *

التمهيـــد

***

إن هذا البحث يفتح للباحث بابًا عظيمًا (مـــن معرفـــة الله ؛ ومعرفـــة أحكامه ، من أجلِّ المعارف وأشرف العلوم ، تجد آية الرحمة مختومة بأسماء الرحمة ، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأســماء العــزة والقــدرة والعلــم والقهر)[1] .

وهذا البحث يُجلِّي للباحث وجه المدح في أسماء الربِّ تبارك وتعالى ؛ وأنها كلُّها أسماء مدح ، ولو كانت أسماء مجردةً لا معاني لهــا : لــم تكــن حسنى، بل جاء وصفها بأنها حسنى كلُّها لدلالتها على أوصاف الكمال ، الذي من وجوهه تطابق العلمية فيها للوصفية ، فلو كانت هــذه الأســماء أعلامًــا محضة لا تطابق وصفها : لم يكن فَرْقُ بين ختم الآية بهذا الاســم أو ختمهــا الآيات القرآنية الكريمة .

وقد أشار الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى إلى هــذا البحــث ؛ وأهمية العناية به ، فقال : (أسماء الربِّ كلُّها أسماء مدحٍ ، ولو كانت ألفاظًــا مجردةً لا معاني لها : لم تدلَّ على المدح ، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسن كلُّها ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِــدُونَ فِــي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] .

فهي لم تكن حسنى لمجرَّد اللفظ ؛ بل لدلالتها على أوصاف الكمــال ، ولهذا لما (سمع بعض العرب قارئًا يقرأ : ﴿ وَالــسَّارِقُ وَالــسَّارِقَةُ فَــاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ ﴾ [3] والله غفور رحيم . قال : ليس هذا

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للسعدي ص٥١-٥٢ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

كلام الله تعالى . فقال القارئ : أتكذب بكلام الله تعالى ؟ فقال : لا ؛ ولكن ليس هذا بكلام الله . فعاد إلى حفظه إلى حفظه وقرأ : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم ﴾ [1] . فقال الأعرابي : صدقت ، عزَّ فحكَم فقطعَ ، ولو غفر ورحم لما قطع)[2] .

ولهذا إذ ختمت آية الرحمة باسم عذابٍ أو بالعكس : ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه .

وفي السنن من حديث أبى بن كعب : (قراءة القرآن على سبعة أحرف) . ثم قال : (ليس منها إلا شاف كاف ، إن قلت : سميعًا عليمًا ، عزيزًا حكيمًا ، ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب) إسناده صحيح[3] .

ولو كانت هذه الأسماء أعلامًا محضة لا معنى لها : لم يكن فَرْقٌ بين ختم الآية بهذا أو بهذا ، وأيضًا فإنه سبحانه يُعلِّل أحكامه وأفعاله بأسمائه ، ولو لم يكن لها معنى لما كان التعليل صحيحًا ، كقوله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [4] .

وقوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [5] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٣٨ .

(٢) نسب بعض المفسرين هذه الحكاية إلى الأصمعي ؛ وأنه هو القارئ ، كما في : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٨٥/٢ ، تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني ٣٦/٢-٣٧ ن زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى ٣٥٤/٢ ، التفسير الكبير للرازي ١٨١/١١ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه إكتاب الصلاة / باب أنزل القرآن على سبعة أحرف – الحديث رقم (١٤٧٧) – ص٢٢٨] .

(٤) سورة نوح : الآية ١٠ .

(٥) سورة البقرة : الآيتان ٢٢٦-٢٢٧ .

فختم حكم الفيء – الذى هو الرجوع والعود إلى رضى الزوجة والإحسان إليها – بأنه غفور رحيم ، يعود على عبده بمغفرته ورحمته إذا رجع إليه ، والجزاء من جنس العمل ، فكما رجع إلى التي هي أحسن : رجع الله إليه بالمغفرة والرحمة .

﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) . فإن الطلاق لما كان لفظًا يُسمع ؛ ومعنى يُقصد : عقبه باسم (السميع) للنطق به ، (العليم) بمضمونه.

وكقوله تعالى : ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(٢) . فلما ذكر سبحانه وتعالى التعريض بخطبة المرأة الدال على أن المعرِّض في قلبه رغبة فيها ومحبة لها ، وأن ذلك يحمله على الكلام الذى يتوصل به إلى نكاحها : رفع الجناح عن التعريض ؛ وانطواء القلب على ما فيه من الميل والمحبة ، ونفي مواعدتهم سرًا – فقيل : هو النكاح ، والمعنى : لا تصرحوا لهن بالتزويج إلا أن تعرضوا تعويضًا ، وهو القول المعروف . وقيل : أن يتزوجها في عدتها سرًا ، فإذا انقضت العدة أظهر العقد ، ويدل على هذا قوله : ﴿ وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ . وهو انقضاء العدة . ومن رجح القول الأول قال : دلت الآية على إباحة التعريض بنفى الجناح ، وتحريم التصريح بنفي المواعد سرًا ، وتحريم عقد النكاح قبل انقضاء العدة ، فلو كان معنى مواعدة السر هو

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣٥ .

إسرار النقد : كان تكرارًا – ثم عقب ذلك بقوله : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ أن تتعدوا ما حُدَّ لكم ، فإنه مطلع على ما تسرون وما تعلنون ، ثم قال : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . لولا مغفرته وحلمه لعنتم غاية العنت ، فإنه سبحانه مطلع عليكم ، يعلم ما في قلوبكم ، ويعلم ما تعملون ، فإن وقعتم في شيء مما نهاكم عنه ، فبادروا إليه بالتوبة والاستغفار، فإنه الغفور الحليم .

وهذه طريقة القرآن ، يقرن بين أسماء الرجاء وأسماء المخافة ، كقوله تعالى : ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

وقال أهل الجنة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٢) . لما صاروا إلى مراكته بمغفرته وشكره إحسانهم قالوا : ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ . وفي هذا معنى التعليل ، أى بمعرفته وشكره وصلنا إلى دار كرامته ، فإنه غفر لنا السيئات ، وشكر لنا الحسنات .

وقال تعالى : ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (٣) فهذا جزاء لشكرهم ، أي إن شكرتم ربكم شكركم ، وهو عليم بشكركم ، لا يخفى عليه من شكره ممن كفره ، والقرآن مملوء من هذا ، والمقصود التنبيه عليه .

وأيضًا فإنه سبحانه يستدل بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه ، ولو كانت أسماء لا معنى لها لم تدل على ذلك ، كقول هارون لعبدة العجل : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ (٤) . قوله سبحانه في القصة :

---

(١) سورة المائدة : الآية : ٩٨ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣٤ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٤٧ .

(٤) سورة طه : الآية ٩٠ .

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [1] . وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [2]. وقوله سبحانه في آخر الحشر : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] . فسبَّح : نزَّه نفسه عن شرك المشركين به عقب تمدحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده واستحالة إثبات شريك له .

ومن تدبر هذا المعنى في القرآن هبط به على رياض من العلم حماها الله عن كل أفاك معرض عن كتاب الله واقتباس الهدى منه ، ولو لم يكن في كتابنا هذا إلا هذا الفصل وحده لكفى من له ذوق ومعرفة والله الموفق للصواب .

وأيضًا فإن الله تعالى يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف والجار والمجرور وغيرهما ، ولو كانت أعلامًا محضة لم يصح فيها ذلك ، كقوله : ﴿واللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [4] ، ﴿ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [5] ، ﴿ واللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [6] ، ﴿ وكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [7] ، ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [8]، ﴿واللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [9]، ﴿واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [10] ، ﴿واللّهُ

---

(١) سورة سورة طه : ٩٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٣ .
(٣) سورة الحشر : الآيتان ٢٢-٢٣ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ ، سورة النساء : الآية ١٧٦ ، سورة النور : الآيتان ٣٥ ؛ ٦٤ ، سورة الحجرات : الآية ١٦ ، سورة التغابن : الآية ١١ .
(٥) سورة البقرة : الآيتان ٩٥ ؛ ٢٤٦ ، سورة التوبة : الآية ٤٧ ، سورة الجمعة : الآية ٧ .
(٦) سورة آل عمران : الآية ٦٣ .
(٧) سورة الأحزاب : الآية ٤٣ .
(٨) سورة التوبة : الآية ١١٧ .
(٩) سورة البقرة : الآية ٢٨٤ ، سورة آل عمران : الآيتان ٢٩ ؛ ١٨٩ ، سورة المائدة : الآيات ١٧ ؛ ١٩ ؛ ٤٠ ، سورة الأنفال ك الآية ٤١ ، سورة التوبة : الآية ٣٩ ، سورة الحشر : الآية ٦ .
(١٠) سورة البقرة : الآية ١٩ .

وَكَانَ اللَّهُ بِهِم عَلِيمًا﴾ [1] ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [2] ، ﴿ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [3] ، ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [4] ، ﴿ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [5] ، ونظائر كثيرة .

وأيضًا فإنه سبحانه يجعل أسماءه دليلاً ما ينكره الجاحدون من صفات كماله ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [6] .

وقد اختلف النظار في هذه الأسماء : هل هي متباينة – نظرًا إلى تباين معانيها ، وأن كل اسم يدل على غيرْ ما يدل عليه الآخر ؟ أم هي مترادفة – لأنها تدل على ذات واحدة ، فمدلولها لا تعدد فيه ، وهذا شأن المترادفات ؟

والنزاع لفظي في ذلك ، والتحقيق أن يقال : هى مترادفة بالنظر إلى الذات ، متباينة بالنظر إلى الصفات ، ، وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة[7] ، وعلى أحدهما وحده بالتضمن[8] ، وعلى الصفة الأخرى بالالتزام [9])[10] .

---

(١) سورة النساء : الآية ٣٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٤٥ .

(٣) سورة هود : الآية ١١١ .

(٤) سورة الحجرات : الآية ١٨ .

(٥) سورة الشورى : الآية ٢٧ .

(٦) سورة الملك : الآية ١٤ .

(٧) دلالة اللفظ على جميع مسمى ذلك اللفظ ، كما في : التعريفات للجرجاني ص١٤٠ ، شرح الكوكب المنير لابن النجار ١٢٦/١ ، آداب البحث والمناظرة للشنقيطى ١٣/١ .

(٨) دلالة اللفظ على جزء مسماه ، كما في : التعريفات للجرجاني ص١٤٠ ، شرح الكوكب المنير لابن النجار ١٢٦/١ ، آداب البحث والمناظرة للشنقيطى ١٤/١ .

(٩) دلالة اللفظ على اللازم من مسماه ، كما فى : التعريفات للجرجاني ص١٤٠ ، شرح الكوكب المنير لابن النجار ١٢٧/١ ، آداب البحث والمناظرة للشنقيطى ١٤/١ .

(١٠) جلاء الأفهام في فصل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام لابن قيم الجوزية ص٢٧٨-٢٨٤ .

وسأجتهد في تتبع الآيات الكريمة من سورة البقرة التى خُتمت بالأسماء الحسنى ، وأشير إلى وجه المناسبة فيها مُستفيدًا من كلام أهل العلم الأسنى .

ولابدَّ من التنبُّه والتنبيه على أن البحث قد قصرته على الآيات الكريمة التى ختمت بالأسماء الحسنى المفردة أو المقترنة .

فلا يتعدى البحث إلى الآيات الكريمة التي ختمت بما تصرف عن أسماء الله الحسنى ، مثل ما تصرف عن اسم الجلالة (العليم) ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية : ٣٠] ، وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [الآية : ٣٣] ، وفي قوله تعالى : ﴿ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [الآية : ٧٧] ، وفي قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآية : ٢١٦] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية : ٢٣٢] .

كما لا يتعدى البحث إلى الآيات الكريمة التى ختمت بما فيه إيماءٌ إلى أسماء الله الحسني ، مثل ما فيه إيماءٌ إلى اسمَيْ الجلالة (الولي) ؛ و(النصير)، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [الآية : ١٠٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى

وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [الآية : ١٢٠] .

كما لا يتعدى البحث إلى الآيات الكريمة التي ختمت بصفات الله العلى، سواء الصفات الثبوتية ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية : ٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية : ١٩٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الآية : ١٩٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [الآية : ٢٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية : ٢٤٩] .

أو الصفات السلبية ، مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية : ٧٤] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية : ٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية : ١٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [الآية : ١٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية : ١٤٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الآية : ١٩٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾ [الآية : ٢٠٥] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الآية : ٢٥٨] (وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الآية : ٢٦٤] .

كما لا يتعدى البحث إلى الآيات الكريمة التي ختمت بأفعال الله المحكمة ، مثل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الآية : ٢٥٣] .

وهذه الأفعال إما أن تكون في باب الفضل ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الآيتان : ٤٧ ؛ ١٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الآية : ١٠٥] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾ [الآية : ٢١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الآية : ٢٥١] .

وإما أن تكون في باب العدل ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [الآية : ٧٢] ، وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الآية : ٩٨] .

وهذا أوان الشروع في المقصود ، مُستلهمًا السداد والرشاد من المُستعان المعبود

* *

المبحث الأول

مناسبة ختم الآيات الكريمة

المطلب الأول : قول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [الآية : ١٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (المحيط) هو : عموم إحاطة الله عزَّ وجلَّ ، فهو سبحانه وتعالى محيط بكلِّ شيء علمًا وقدرة ، وقد أحاط علمًا وقدرة بالمنافقين ؛ فلا يفوتونه ولا يعجزونه .

وإعلامهم بإحاطة الله تعالى بهم يتضمن تهديدهم ووعيدهم ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[1] ، كما قال رب العالمين، في سلفهم من المجرمين : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ . وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾[2] .

فلا ينفع المنافقين هربهم ؛ ولا يُجدي حذرهم ؛ لأن الله تعالى من ورائهم ، محيط بهم بقدرته ؛ وهم تحت مشيئته ، يحفظ عليهم أعمالهم ؛ ويجمعهم ويجازيهم عليها أتم الجزاء[3] .

---

(١) سورة المنافقين : الآية ٣ .

(٢) سورة البروج : الآيات ١٧-٢٠ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١/١٥٧-١٥٨ ، تفسير القرآن للسمعاني ١/٥٥ ، معالم التنزيل للبغوي ١/٧٠-٧١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٠ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٤٥ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١/٧٠-٧١ .

المطلب الثاني : قوله الله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٠] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (القدير) هو : عموم قدرة الله عزَّ وجلَّ ، فهو سبحانه وتعالى قادر على كل شيء ، فإذا شاء شيئًا فعله من غير ممانع ولا معارض ، فلو شاء الله تبارك وتعالى لذهب بأسماع المنافقين وأبصارهم بدون صواعق ولا برق ؛ لعموم قدرته ، وهذا الختم باسم الجلالة (القدير) : يتضمن التهديد والتحذير[1] .

المطلب الثالث : قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : عموم علم الله عزَّ وجلَّ ، فهو سبحانه وتعالى : (العالم الذي قد كمل في علمه)[2] ، ومنه : علمه المحيط بجميع ما خلق .

وهذه الآية الكريمة المتضمنة لعلم الله تعالى بكيفية خلق السماوات والأرض مفصلة في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٦٠/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٣/١ ، تيسير الكريم

(٢) قاله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كما أخرجه ابن جرير الطبري في جامعه ١٩٥/١ .

طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (١) .

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين خلقه وإثبات علمه ، كما في هذه الآية الكريمة ، وكما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٢) ، وكما في قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٣) .

فخلق الله سبحانه وتعالى للمخلوقات : أدل دليل على علمه وحكمته وقدرته .

فمَنْ هذا علمُهُ سبحانه وتعالى : ينبغي أن يُخشى ويُخاف ، وأن يُحترس مما يُغضبه ويُسخطه ، سواءٌ في الأفعال أو في الأقوال ، وسواءٌ في الظاهر أ في الباطن ، لأنه لكل شيء (عليم) ، ومن ذلك : علمه سبحانه وتعالى بما أبداه المنافقون بألسنتهم ؛ وجحدوه بأفئدتهم ، وهو قوله : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٤) ، فالله سبحانه وتعالى (عليم) بأن المنافقين ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة السجدة : الآيات ٩-١٢ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ١٢ .

(٣) سورة الملك : الآية ١٤ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٨ .

(٥) سورة البقرة : الآيتان ٨-٩ .

فمن علمه محيط بجميع ما خلق : لا يخفى عليه خداع المنافقين وكذبهم وإفسادهم واستهزاؤهم[1] .

المطلب الرابع : قول الله تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الآية : ٩٥] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : تخصيص علمه بالظالمين ، والرب تبارك وتعالى عالم بالظالمين وغيرهم ، لكن التخصيص يقتضي وعيدهم ؛ ويتضمن تهديدهم ، وأنه (عليم) بمجازاتهم .

ومن أظلم الأمم : أمة يهود ، الذين علم الله تعالى ما عندهم من العلم بما جاء به الرسول ﷺ ، ثم عمدوا إلى الكفر به وجحده وكتمه ، كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

فهم لشدة ظلمهم يعلمون ما لهم عند الله تعالى من المآل السيء والعاقبة الخاسرة ، لذا فهم يودُّون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم[3] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٩٥/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٣/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٥٣/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١١٠/١-١١١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٢٨/١ ، بحر العلوم للسمرقندي ١٣٩/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣١/١ ، ٣٣٤ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٢٨٤/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣١٢/١ .

المطلب الخامس : قول الله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [الآية : ٩٦] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (البصير) هو : علمه بكل ما يعلمونه في السرّ والعلانية ؛ من عمل صالح أو عمل شيء ومجازاة كل عامل بعمله ، كما يتضمن الوعيد والتهديد لليهود ، وأنهم سيجازون بأعمالهم وافترائهم .

و(بصير) صرف من مبصر ، كما صرف سميع من مسمع ، وبديع من مُبدع ، وأليم من مُؤلم[1] .

المطلب السادس : قول الله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الآية : ١٠٦] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (القدير) هو : عموم قدرة الله عزّ وجلّ ، فهو سبحانه وتعالى قادر على نسخ الآيات الشرعية ؛ ونقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر ؛ أو إلى إسقاطه ، فكما يخلق الله تعالى خلقه كما يشاء كذلك يحكم فيهم بما يشاء ، فمن قدح في النسخ : فقد قدح في ملك الله تعالى وقدرته .

كذلك فإن الله تعالى إذا كان قادرًا على الأمور القدرية الكونية : فإنه قادر على الأمور الشرعية المعذرية ؛ من النسخ والتبديل .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٣١/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٥/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٢٨٥/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٧٦/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣١١/١ .

وقد جاء الختم بلفظ الاستفهام ، ومعناه التقرير ، أي : إنك تعلم أن الله على كل شيء قدير[1] .

المطلب السابع : قول الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية : ١٠٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (القدير) هو : عموم قدرة الله عز وجل ، فهو سبحانه وتعالى قادر على أن يأتي بالأمر بالجهاد في سبيله ، ليعذب الذين كفروا ويخزهم ؛ وينصر المؤمنين عليهم ، ويشف صدروهم ؛ ويُذْهب غيظ قلوبهم .

لذا (كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا ﴾[2] . وقال الله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٠٩] وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٨١/١ ، تفسير القرآن للسمعاني ١٢٤/١، معالم التنزيل للبغوي ١٣٥/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٨/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدى ٨٣/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣٤٩/١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٦ .

به ، حتى أذن الله فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا ؛ فقتل الله به صناديد كفار قريش) الحديث[1] .

فالله سبحانه وتعالى (قدير) على كل شيء عن شاء عاجلهم بالعقوبة ؛ فهو عزيز ذو انتقام ، وإن شاء عاجلهم بالمثوبة ، فشرح صدورهم للإسلام ، فلكمال قدرته لا يتعذر عليه أمرٌ ، إذا شاء قضاءَه[2] .

المطلب الثامن : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الآية : ١١٠] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (البصير) هو : عموم علمه بكل ما نعمل ، وهذا الختم وإن كان قد خرج مخرج الخبر ؛ إلا أنه يُوجب الوعد والترغيب في القربات ؛ والوعيد والترهيب من المخالفات ، لأن الله تعالى لا يغفل عن عمل العامل ، وسيجازي كل عامل بعمله ، يجازيه بالخير خيرًا ، وبالشرّ شرًا .

والبصر قد يكون بمعنى الرؤية ، وقد يكون بمعنى العلم ؛ وهو أشمل، حيث يعم العمل القلبي والبدني ، والعمل القلبي لا يُدرك بالرؤية ، وإنما يُدرك بالعلم[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير / باب ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ – الحديث رقم (٤٥٦٦) -٣/١٣٨٥-١٣٨٦] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٩٠/١ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٣/١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٨٤/١ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٩١/١ ، بحر العلوم للسمرقندي ١٤٩/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٤/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣٠٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٨٤/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣٦٤/١ ، ٣٦٦ .

المطلب التاسع : قول الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الآية : ١٤٨] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (القدير) هو : عموم قدرة الله عز وجل ، فهو سبحانه وتعالى جامع الناس ليوم لا ريب فيه بقدرته ، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [1] ، وهو قادر على جمعهم من الأرض ؛ وإن تفرقت أجسادهم وأبدانهم ، ومصداق ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (أسرف رجل على نفسه ن فلما حضره الموت : أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذْرُوني في الريح في البحر ، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذِّبُني عذابًا ما عذَّبه به أحداً . ففعلوا ذلك به ، فقال للأرض : أدِّي ما أخذت ، فإذا هو قائك ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : خشيتك ياربِّ ، أو قال : مخافتك . فغفر له بذلك)[2] .

فمن كملت قدرته : وجبت خشيته[3] .

المطلب العاشر : قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [الآية : ١٦٥] .

---

(١) سورة النجم : الآية ٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب أحاديث الأنبياء / باب حديث الغار – الحديث رقم (٣٤٨١) -٢/١٠٨٢] ومسلم في صحيحه [كتاب التوبة / باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه الحديث رقم (٢٧٥٦) -٤/٢١١٠] .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٣٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٦٣ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٠٧ .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (شديد العذاب) هو : أن الأنداد ليس لهم من القوة والقدرة شيء ، بل هم ضعفاء عاجزون ؛ لا يغنون عنهم مثقال ذرة من النفع ، وأما الله سبحانه وتعالى فله القوة والقدرة كلها ، وسيحق كلمة العذاب على هؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ (١) .

فمن عاين العذاب : علم أن القوة لله جميعًا ، وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه(٢) .

المطلب الحادى عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الآية : ١٩٦] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (شديد العقاب) هو : أن الموجب للتقوى : خوف عقاب المولى ، فمن خاف عقاب الله تعالى : اتقاه ، ومن لم يخف عقابه : لم يتقه .

وشدة العقاب تدلُّ على كمال المُعاقب ؛ وأنه مُتصفٌ بالقوة والسلطان، وهذا العلم يبعث على الفرار من سخطه إلى رضاه ، لذا أمرنا الله سبحانه

---

(١) سورة الفجر : الآيتان ٢٥-٢٦ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٧/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٢٢/١-١٢٣ .

وتعالى بالعلم به ، فقال تعالى : ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

فهو سبحانه وتعالى (شديد العقاب) لمن خالف أوامره ؛ وارتكب زواجره ، فليحذر النَّاسك ؛ أن يستحلَّ ما حُرِّم عليه في المناسك .

ولا تنافي بين شدة العقاب وسعة الرحمة ، لأن عقوبة المذنب من رحمة المُعاقِب به ، حتى تكون كفارة وطهارة له(٢) .

المطلب الثاني عشر : قول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [الآية : ٢٠٢] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (سريع الحساب) هو : أن الله سبحانه وتعالى سريع في حساب وجزاء عباده، فيُجازيهم على حسب أعمالهم ونياتهم ؛ جزاء دائرًا بين العدل والفضل ، جزاء يُحمد عليه الرب تبارك وتعالى أكمل حمد وأتمه ، كما قال الله تعالى : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) .

وقد أعلم الله سبحانه وتعالى أن لهؤلاء الذين أتموا نسكهم ؛ وقضوا تفثهم : نصيبًا وافراً ؛ وحظًا زاخرًا من حجهم ، لأنه من جملة عملهم الذي كسبوه ، فيُحصيه الله تعالى بسرعة حساب .

فالرب تبارك وتعالى لكمال علمه وحفظه يُحاسب عباده أسرع حساب، فمن حاسبه الله تعالى بفضله : فإنه يعرض عليه الحساب عرضًا ، ومن

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٨ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢٥٧/٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤٠/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدى ١٤٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٤١١/٢ .

(٣) سورة الزمر : الآية ٧٥ .

حاسبه الله تعالى بفضله : فإنه يناقش الحساب مناقشة ، كما جاء في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (من حُوسب يوم القيامة عُذِّب . فقلت : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [1] ؟ فقال : ليس ذاك الحساب ، إنما ذاك العَرْض ، من نُوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب)[2] .

فسرعة الحساب كما تتضمن كمال العلم والحفظ : فإنها تتضمن إنذار المُحاسَبين[3] .

المطلب الثالث عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [الآية : ٢٠٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (الرؤوف هو : أن الله سبحانه وتعالى من رأفته ورحمته وفَّق هؤلاء لما وفَّقهم إليه من بيع أنفسهم وإرخاصها وبذلها طلبًا لمرضاه الله تعالى ؛ ورجاء ثوابه ، ومن رأفة الله سبحانه وتعالى ورحمته بالعباد أن كتب على نفسه الوفاء ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الانشقاق : الآية ٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الرقاق / باب من نوقش الحساب عُذِّب – الحديث رقم (٦٥٣٦) –٤/٢٠٤٧] ، ومسلم في صحيحه [كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب إثبات الحساب – الحديث رقم (٢٨٧٦) –٤/٢٢٠٤] .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٣٠٢ ، الجواهر الحساب في تفسير القرآن للثعالبي ١/٤٢٤ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٥٠ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢/٤٣٦-٤٣٧ .

(٤) سورة التوبة : الآية ١١١ .

فهذا الختم يقتضي حضَّ العبد على بيع نفسه ، فإن أرخصها في مرضاته : فلا يسأل بعد هذا عما يحصل له من الكريم ، وما يناله من الفوز والتكريم[1] .

المطلب الرابع عشر : قول الله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الآية : ٢١١] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (شديد العقاب) هو : أن الشكر موجب للنعم ، وأن الكفر موجب للنقم ، ومن آثار هذه النقم : أن من لم يقم بشكر النعمة فإن الله تعالى ينزل عليه عقابه ، ويحرمه ثوابه ، وهذا يقتضي الوعيد والترهيب ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ [2] .

ونعم الله تعالى كثيرة ؛ وآلاؤه وفيرة ، وأجلُّها : نعمة الإسلام ، وما شرعه من الأحكام ، فشدة العقاب لمن بدل نعمة الله تعالى كفرًا : هو مقتضى العدل[3] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣٢٢/٢ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٢٨/١ ، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان للسعدي ١٥٣/١ .

(٢) سورة إبراهيم : الآيتان ٢٨-٢٩ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ٣٣٢/٢-٣٣٣ ، بحر العلوم للسمرقندي ١٩٨/١ ،تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٦٨/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٢٩/١ ، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٥٥/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢٠/٣ .

المطلب الخامس عشر : قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢١٥] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : أن الله تعالى يعلم ما ينفقه كل منفق من خير ، فيحصيه له ؛ ويجازيه عليه يوم القيامة ؛ على حسب ما يعلمه من إخلاص نيته أو ريائه ، وما يعلمه من كثرة نفقته أو قلتها ، وما يعلمه من عظيم وقعها على المُنفق عليه ونفعها له أو عدمه ، وما يعلمه من استغنائه عن ماله أو شدة حاجته إليه، فينبغي أن لا يحقر الإنسان من المعروف شيئًا ، لأن الله تعالى يعلمه ، وسيجازيه عليه أوفر الجزاء ، فإنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (١) .

وهذا يتضمن الوعد والترغيب في النفقة ، لعلم الرب تبارك وتعالى بالمنفق(٢) .

المطلب السادس عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٣١] .

---

(١) سورة الزلزلة : الآية ٧ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣٤٢/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢٠١/١، تفسير القرآن للسمعاني ٢١٥/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٢٤٥/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٧٢/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٣٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدى ١٥٩/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٤٦/٣-٤٧ .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (عليم) بجميع أمور عباده ، فلا يخفى عليه شيء مما هم عاملوه من خير أو شر ؛ وحسن وسيئ ؛ وطاعة ومعصية؛ وجهر وسر ، فلهذا بيَّن لهم هذه الأحكام : بغاية الإتقان والإحكام ؛ التي هي جارية مع المصالح في كل زمان ومكان ، لذا أمر الله سبحانه وتعالى بالعلم بأنه بكل شيء عليم .

وإذا علم الزوج أن الله سبحانه وتعالى متصف بهذا الوصف العليِّ : خاف من التعدي على زوجه بإمساكها ضرارًا ، وهاب من الظلم لنفسه ، لأنه يعلم أن ربه تبارك وتعالى يعلم ما اقترفه بيديه ، وسيجازيه عليه[1] .

المطلب السابع عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (البصير) هو : (أن الله سبحانه وتعالى (بصير) بأعمال العباد ، فيجازيهم عليها إن خيرًا فخير ؛ وإن شرًا فشرٌ .

---

(١) انظر : جامع لبيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٨٣/٢ ، بحر العلوم للسمرقندى ٢٠٩/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٣١/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٧٤/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٢٥/٣ ؛ ١٣٤ .

والعلم بأن الله تعالى بما نعمل (بصير) : من تمام تقوى الله تعالى ، لأن العبد متى ما علم ذلك : أورثه خوف الله تعالى ، لعلمه أن ربه تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء من أفعاله وأقواله ، بل هو مبصر لأحواله ، يبصر سرها وعلانيتها ؛ وخفيها وظاهرها ؛ وخيرها وشرها ، فيحرص العبد أشد الحرص على أن لا يبصره ربه تبارك وتعالى حيث زجره ، وأن لا يفقده حيث أمره .

وهذا الختم وما سبقه من الأمر بالتقوى : يحمل الوالد والوالدة على الخوف والحذر ، لأن الله تعالى بصير بالإضرار الذي يلحقه أحدهما بغيره فيجازيه عليه[1] .

المطلب الثامن عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الآية ٢٣٤] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (الخبير) هو : أن الله سبحانه وتعالى (خبير) ؛ يعلم أعمالكم ظاهرها وباطنها؛ جليَّها وخفيَّها ، فيجازيكم عليها إن خيرًا فخير ؛ وإن شرًا فشرٌ .

والخبير هو العليم بباطن الأمر وخفيِّه ، ومن كان هذا عمله سبحانه وتعالى : فعلمه بظاهر الأمر وجليِّه من باب أولى .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥١٠/٢ بحر العلوم للسمرقندى ٢١١/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٣٥/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٧١/١ ، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للسعدي ١٧٥/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٤٦/٣ .

وختم الآية الكريمة باسم الجلالة (الخبير) : قد يتضمن الوعيد والتحذير ، من إظهار الزينة المخالفة للتربص في العدة ؛ ومواعدة الخاطب سرًا[1] .

المطلب التاسع عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٣٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (البصير) هو : أن الله سبحانه وتعالى (بصير) يعلم من تفضل على زوجه بالعفو بسبب النكاح الذي كان بينه وبينها ؛ فكان أقرب لتقواه ، فيُجازيه بالفضل والكرم .

فعِلْمُ العبد أن اله تعالى (بصير) يحمله على العمل الصالح ، لعلمه أن الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه أحواله ، لأنه يُبصر أعماله ، فلا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وكما في ضمن هذا الختم : الوعد لمن أصلح وعفا ، ففي ضمنه : الوعيد لمن أساء وهفا[2] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٥١٦-٥١٧ ، بحر العلوم للسمرقندى ١/٢١١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٤٧٢-٤٧٣ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٧٦ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/١٥٨ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٥٥٣ ، بحر العلوم للسمرقندى ١/٢١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٤٥ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٤٧٧ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٧٨ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/١٧٦-١٧٧ .

المطلب العشرون : قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [الآية : ٢٤٦] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : أن مقتضى علم الله تعالى بالظالم أن يجازيه على ظلمه ، ومن هؤلاء الظالمين الضُلال : المتولون الذين فرض عليهم القتال ، فأخلفوا ما وعدوا ، ولم يوفوا بما عاهدوا ، فهذا ظلم منهم لأنفسهم ، لأن ظلم العبد لنفسه ينقسم إلى قسمين : إما فعل محرم ، وإما ترك واجب .

وتخصيص العلم بالظالمين : يقتضى وعيدهم ؛ ويتضمن تهديدهم[1].

المطلب الحادى والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٥٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (القدير) هو : عموم قدرة الله عزَّ وجلَّ فهو سبحانه وتعالى قادر على الإمانة

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٦٠١/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢١٨/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٦٥/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٨٩/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢٠٨/٣ ؛ ٢١١ .

والإحياء بعد تصرم الأعوام ، وقادر على نشز ونشر[1] هذه العظام ، فما كان من هذا الميت عظمًا ؛ فإنه يكسوه بقدرته لحمًا .

وهذا الفعل المحكم لا قدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ، لذا وجب العلم – كما في القراءة الأخرى[2] : ﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [3] .

المطلب الثاني والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٦٥] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (البصير) هو : أن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء فهو يبصر نفقة المنفق التي يبتغي بها مرضات الله تعالى ، وتثبيتًا من نفسه .

وقد يراد بالإبصار ههنا : العلم ، ليعم مع ما يبصر من الأفعال : ما يسمع من الأقوال ، وما يعلم من الأحوال ، فيعم بذلك الظاهر والباطن .

---

(١) النشز : الارتفاع ، وهو رفع العظام بعضها إلى بعض ، والنشر : الإحياء ، وهو إحياء العظام بعد موتها ، وقد قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالراء المهملة ، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالزاي المنقوطة .

انظر : معاني القراءات للأزهري ص٨٦ ، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني ص١٣٤ ، النشر في القراءات العشر لابن الجوزي ٤٣٨/٢ .

(٢) قرأ الأخوان حمزة والكسائي بوصل الألف وجزم الميم ؛ على الأمر ، وقرأ الباقون بقطع الألف وضم الميم ؛ على الخبر .

انظر : معاني القراءات للأزهري ص٨٦ ، المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني ص١٣٤ ، النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٤٣٨/٢ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٥/٣-٤٦ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٩٠/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢٩٢/٢-٢٩٤ .

وفي ضمن هذا الختم : الوعد والترغيب للمحسنين ، والوعيد والترهيب للمسيئين[1] .

المطلب الثالث والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٧١] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (الخبير) هو : أن الله سبحانه وتعالى (خبير) بما يُبطنه المتصدق من نية ؛ سواء أبدى الصدقة أو أظهرها ؛ أعلنها أو أسرها ، فيجازي كلاً منهما بعمله .

وهذا الختم باسم الرب تبارك وتعالى (الخبير) : يقتضي التبشير والتحذير ، والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم دقيق أمر المتصدقين وجليله ، ﴿ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [2] ، فلا يخفى عله شيء ، وسيجازي المتصدق على كل شيء ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر[3] .

المطلب الرابع والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣/٧٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٩٥ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٥٢٢ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/٣٢٧ .

(٢) سورة الجن : الآية ٢٨ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣/٩٤ ، بحر العلوم للسمرقندي ١/٢٣٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٧٠٣ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٥٢٨ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٩٦ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/٣٦١ .

التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٧٣] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية باسم الجلالة (العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (عليم) بأي خر ينفقه العبد في سبيل الله تعالى ، فسيحصيه ويجازيه عليه أعظم الجزاء ، ويضاعفه له أضعافًا مضاعفة ويخلف عليه بالعطاء ، وهذا محض العِدَة بالمغفرة والفضل والكرامة ، أحوج ما يكون إليها العبد يوم القيامة[1] .

المطلب الخامس والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٨٢] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى متصف بكمال العلم ، فعلمه سبحانه وتعالى غير مسبوق بالجهل ، وغير ملحوق بالنسيان ، ومن منة الرب تبارك

---

(١) انظر : بحر العلوم للسمرقندي ٢٣٣/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٣٣٩/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٠٧/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٥٣٣/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣٦٩/٣ ؛ ٣٧١ .

وتعالى على عباده : تعليمهم ما يجهلون ، كما قال تعالى : ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] .

فالعالم مهما زاد علمه : فإنه يقصر عن الإحاطة بجميع الأمور ، وأما (العليم) سبحانه وتعالى : فإنه عالم بحقائق العباد ومصالحهم وعواقبهم ، فلا يخفى عليه شيء من أسرارهم ، وهو (عليم) بأعمالهم يحصيها عليهم ليجازيهم بها ، ومن جملة هذه الأعمال : المداينة ، فالله سبحانه وتعالى (عليم) بمن آمن واتقى ، و(عليم) بمن فسق وعصى[2] .

المطلب السادس والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٨٣] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يعمله الإنسان من خير أو شر، من ظاهر أو باطن ، وهذا يوجب حذر الإنسان من ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى محيط علمه بجميع ما يعمله ؛ وسيحصيه عليه ، فهو (عليم) بمن يأتي بالشهادة على وجهها ، و(عليم) بمن يكتمها[3] .

---

(١) سورة النحل : الآية ٧٨ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري ١٣٨/٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٢٧/١ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٤٢/٣ ، بحر العلوم للسمرقندى ٢٣٩/١ ، الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للثعالبي ٥٥٤/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٤٢٧/٣ ؛ ٤٣١-٤٣٢ .

المطلب السابع والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الآية : ٢٨٤] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسم الجلالة (القدير) هو : عموم قدرة الله عز وجلَّ ، فهو سبحانه وتعالى يحاسب الخلائق؛ ويوصل إليهم ما يستحقونه من الثواب والعقاب ، وهذا من تمام قدرته .

ولما كانت المحاسبة إنما تكون بعد البعث : ناسب أن تُختم الآية باسم الجلالة (القدير) ، لأن الآية لو خُتمت باسم يقتضي المثوبة : لم يناسب ما في الآية من ذكر العذاب ، ولو أن الآية خُتمت باسم يقتضي العقوبة : لم يناسب ما في الآية من ذكر الثواب ، فناسب أن تختم الآية باسم يقتضي القدرة على المثوبة والعقوبة ؛ وهو اسم الجلالة (القدير)[1] .

* *

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لسعدي ٢٠٥/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٤٤١/٣ .

المبحث الثانى

مناسبة ختم الآيات الكريمة بالأسماء الحسنى المقترنة

المطلب الأول : قول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَــا إِلاَّ مَــا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [الآية : ٣٢] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (العليم الحكيم) هو : أن يعرف المخلوق قدر نفسه ، فلا يدعى علم ما لم يعلم، ويعرف أن الخالق هو ذو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً – لما كان ؛ وما سيكون – فلا يغيب عنه ولا يعرب عنه مثقال ذرة في الــسماوات ولا في الأرض ؛ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وأنه ذو الحكمة البالغة التي تعجز عن إدراكها عقول العقلاء . وإن كانت عقولهم قد تدرك شيئًا منهــا – فما خلق شيئًا إلا لحكمة تامة ، ولا أمر بشيء إلا لحكمة تامة ، وهذه الحكمة التامة لا يخرج عنها مخلوق ، ولا يشذ عنها مخلوق ، ولا يشذ عنها مأمور .

فالعليم بكل شيء ؛ والحكيم في خلقه وأمره وفي تعليمه مــن يــشاء : يُناسب أن تُقرَّ الملائكة وتعترف بالقصور عن معرفة أدنى شيء مــن علمــه وحكمته ، وأنه العالم من غير تعليم ، إذ كان من سواه لا يعلم شيئًا إلا بتعليم غيره إياه ، فهو سبحانه لما كان (العليم) الذي قد كمل في علمه ، و(الحكــيم) الذى قد كمل في حكمه[1] : فإن علمه وحكمته اقتضتا أن يجعل فــي الأرض خليفة[2] .

---

(١) قاله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كما أخرجه ابن جريــر الطبــري فــي جامعــة ١/٢٢١ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبــري ١/١٩٥ ، بحــر العلــوم للــسمرقندي ١/١٠٩، معالم التنزيل للبغوي ١/٨٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثيــر ١/٢٢٥، تيــسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/ ٥٤ تفــسير القــرآن الكــريم للعثيمــين ١/١٢١ .

المطلب الثاني : قول الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [الآية : ٣٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (التواب الرحيم) هو : أن التوبة الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ مقتضى هذين الاسمين العظيمين ، و(التواب) : صيغة مبالغة من (تاب) ، وذلك لكثرة التائبين ؛ وكثرة توبة الله عليهم ، وهي توبتان : التوبة الأولى : قبل توبة العبد ، وهي توفيقه للتوبة ، والتوبة الثانية : بعد توبة العبد ، وهي قبوله للتوبة ، وذلك إذا اجتمعت شروطها ، فيتوب الله تعالى من غضبه عليه إلى الرضا عنه ، ويرجع من العقوبة إلى العفو والصفح عنه ، و(الرحيم) : ذو الرحمة الواسعة الواصلة إلى من شاء عباده ، فيقيل عثراتهم ، ويستر عوراتهم .

وما قُرِعَ بابُ التوب ؛ بمثل اعتراف المذنب بالذنب ، كما (سُئِلَ بعض سلف المسلمين عما ينبغي أن يقوله المذنب ؟

فقال : يقول ما قاله أبواه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [١]، وما قاله موسى : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [٢] ، وما قال يونس : ﴿ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٣])[٤] .

فالرب تبارك وتعالى يغفر الذنوب ، ويتوب على من يتوب ، وهذا لمن لطفه بخلقه ، ورحمته بعبيده[٥] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٣ .
(٢) سورة القصص : الآية ١٦ .
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٨٧ .
(٤) حطاه الثعالبي في الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢٢٣/١ .
(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢٤٦/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٠/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٥٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٣٤/١-١٣٧ .

المطلب الثالث : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [الآية : ٥٤]

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمى الجلالة (التواب الرحيم) هو : أن التوبة الواردة في قوله تعالى : ﴿ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ مقتضى هذين الاسمين العظيمين ، ونُسِبَ الأمر بتوبتهم إلى بارئهم ؛ أي : خالقهم ، وفي هذا تنبيه إلى عظم جرمهم ، فالذى انفرد ببرئهم وخلقهم : هو المستحق لعبادتهم ، فأي ذنب أعظم من عبادتهم غيره ؛ وقد انفرد ببرئهم وخلقهم ؟ والرب تبارك وتعالى المتصف بالتوبة والرحمة لا يتعاظمه ذنب أن يتوب على صاحبه ويرحمه ، فمتى تاب العبد وأناب : فإن الله تعالى يرجع إليه بتوبته ورحمته المنجية له من عقوبته[1] .

المطلب الرابع : قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ١١٥] .

وجه المناسبة – والله علم – في ختم هذه الآبة الكريمة باسمي الجلالة (الواسع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (واسع) في وصفه العليِّ ؛ ونعته الجليِّ ، فمن سعته : أن وسع خلقه بالرعاية ، والإفضال والجود والعناية ، فوسَّع لهم الأمر ، وقبل منهم المأمور ، فشرعه يسر ، وليس في دينه حرج ، يقبل القليل ، ويعطى الجزيل ، وهو سبحانه وتعالى (عليم) ؛ وعلمه محيط بكل شيء ، وهو يعلم ما أخلصتم فيه ؛ وابتغيتم فيه وجه الله تعالى ، لأنه

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢٨٨/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦١/١ .

سبحانه وتعالى (عليم) بسرائركم ونياتكم ؛ التي هي ملاك العمل ، و(ليم) بصلاتكم ودعائكم[1] .

المطلب الخامس : قول الله تعالى : وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الآية ١٢٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (سميعٌ) ؛ يسمع الأقوال ، و(عليمٌ) يعلم الأحوال ، فهو الذي يسمع الدعاء ، ويعلم ما يستحق أن يقبل من الأعمال الخالصة التى لم يشبها الرياء ، ومن ذلك : ما سأله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام من قبول ما شرَّفهم به الرب تبارك وتعالى من بناء البيت الحرام ، إذ هو سبحانه وتعالى يعلم ما يبدون وما يخفون .

واسم الجلالة (السميع) يرد في نصوص الكتاب المبين تارة لإثبات صفة السمع ؛ وهي صفة ذاتية ، وتارة لإثبات صفة الاستجابة ؛ وهي صفة فعلية .

فمثال ورود اسمن الجلالة (السميع) لإثبات صفة السمع : قول الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [2] .

وهذا الورود تارة يكون تأييدًا ، وتارة يكون تهديدًا ، فمثال ورود اسم الجلالة (السميع) تأييدًا : قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [3] .

---

(١) انظر : بحر العلوم للسمرقندي ١٥٢/١ ، معالم التنزيل للبغوي ١٤٠/١-١٤١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٦/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣٠٨/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٨٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٤/٢ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ١ .

(٣) سورة طه : الآية ٤٦ .

ومثال ورود اسم الجلالة (السميع) تهديدًا : قول الله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (١) .

ومثال ورود اسم الجلالة (السميع) لإثبات صفة الاستجابة : قول الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴾ (٢) .

ودعاء الخيل وابنه إسماعيل عليهما السلام يتضمن جملة من آداب الدعاء ، فمن ذلك : استفتاح الدعاء باسم الجلالة (الرب) ، ومن ذلك : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وهو أحد التوسلات الثلاثة التي يُشرع أن يتوسل إلى الله تعالى بها ، ومن ذلك : التأكيد في الدعاء(٣) .

المطلب السادس : قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [الآية ١٢٨] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (التواب الرحيم) هو : أن العبد مهما جدَّ واجتهد في عمله فلا بُدَّ أن يعتري عمله النقص والتقصير ، وهذا يحتاج منه إلى التوبة ، فناسب أن يُتوسل إلى الله تعالى باسمين من أسمائه الحسنى يُناسبان الدعاء ، وناسب أن

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨١ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٩ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥٥٢/١ بحر العلوم للسمرقندي ١٥٨/١ ، معالم التنزيل للبغوي ١٥٠/١ الجواهر الحسان في تفسير للثعالبي ٣١٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٥٨/٢-٦٢ .

تُتَّخذ تلك البقعة المباركة موضعًا للتوبة ويقتدي بالخليل وابنه عليهما السلام مَنْ بعدهما من الأبناء[1] .

المطلب السابع : قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الآية : ١٢٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمى الجلالة (العزيز الحكيم) هو : أن (العزيز) : هو القادر على كل شيء والقاهر لكل شيء ؛ الذي لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع على قوته شيء و(الحكيم) : في أفعاله وأقواله ، الذي يضع الأشياء مواضعها ، فناسب أن يُتوسل إليه سبحانه وتعالى بهذين الاسمين ، ليبعث بعزته وحكمته هذا الرسول عليه الصلاة والسلام ، لما في بعثته من العزة والحكمة لذريتهما .

وكذلك فإن ختم الآية الكريمة باسمي الجلالة (العزيز الحكيم) يناسب بعثة الرسول ﷺ ، فإنه بُعث بالعزة والحكمة ، فأما العزة فهى محفوفة ببعثه من جميع الجهات ، من جهة المُرسل سبحانه وتعالى ، ومن جهة الرسول ﷺ، ومن المُرسل إليهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

وأما الحكمة فهي سنته المطهرة – التي هي قرينة القرآن الكريم في الإيحاء – التي هي من أجل النعم السابغة ، والمتضمنة للحكمة البالغة .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبري ٥٥٦/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدى ٩٣/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٦٣/٢-٦٥ .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٨ .

فاستجاب الله سبحانه وتعالى للخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام هذا الدعاء ، كما قال رسول الله ﷺ : (إني عند الله لخاتم النبيين ؛ وإن آدم عليه السلام لَمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك : دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت)[1] .

فاستجاب الله تعالى دعوة إبراهيم عليه السلام لأنه سميع عليم ، وبعث نبيه محمدًا ﷺ لأنه عزيز حكيم[2] .

المطلب الثامن : قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الآية : ١٣٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم الآية الكريمة باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن (السميع) : هو المحيط سمعه بجميع الأصوات ؛ باختلاف اللغات ؛ على تفنن الحاجات ، و(العليم) : هو المحيط ، و(العليم) : هو المحيط علمه بما بين أيديهم ؛ وما خلفهم ؛ وما بين ذلك ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى كذلك : فسيكفي رسوله ﷺ شقاقهم ، لأنه سميع لأقوالهم ؛ عليم بأفعالهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [3] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٧١٥٠) -٢٨/٣٧٩-٣٨٠] من حديث عرباض بن سارية ﷺ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١/٥٥٨ ، معالم التنزيل للبغوي ١/١٥٧ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٤٥ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٩٣ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢/٦٨ .

(٣) سورة الزمر : الآيةى ٣٦ .

ولما كان شقاقهم وخلافهم للرسول ﷺ لا يخلو إما أن يكون بالأقوال؛ وإما أن يكون بالأفعال : ناسب أن تُختم الآية الكريمة باسمين من أسماء الله الحسنى يقتضيان سمع الأقوال وعلم الأفعال .

ومن شقاقهم المسموع ؛ وما يُعلم من مكرهم الموضوع : قولهم لأتباع خير متبوع ﷺ : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ ﴾ [1] .

وقد فعل الله سبحانه وتعالى بهم ما هو مقتضي كفايته لرسوله ﷺ ، فصدق وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده[2] .

المطلب التاسع : قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية ١٤٢] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الرؤوف الرحيم) هو أن الله سبحانه وتعالى شديد الرحمة بالناس ، ومن رأفته ورحمته بهم : أن جعلهم أمة متوسطة بين الأمم المتطرفة ، ومن رأفته ورحمته بهم : أن جعلهم شهداء على الناس ، ومن رأفته ورحمته بهم : أن وجههم إلى أشرف البيوت وأجلها ، ومن رأفته ورحمته بهم : أن يُتم عليهم نعمته التي أبتدأهم بها ، وأن يميز عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٥ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥٧٠/١ بحر العلوم للسمرقندى ١٦٢/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣٢٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٩٨/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٩٣٢/٢-٩٤ .

وأن يمتحنهم امتحاناً يزيد به إيمانهم ؛ ويرفع به درجتهم ، فهو سبحانه وتعالى (رؤوف رحيم) إذ هداهم و(رؤوف رحيم) إذ لم يضع إيمانهم[1] .

المطلب العاشر : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ١٥٨]

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الشاكر العليم) هو : أن (الشاكر) : هو الذى يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر ، ويثيب على القليل بالكثير ، ومن شُكره لعباده : أن من ترك شيئًا له : أعاضه سبحانه تعالى خيرًا منه ، وأن من تقرب منه شبرًا : تقرب منه ذراعًا ، ومن تقرب منه ذراعًا : تقرب منه باعًا ، ومن أتاه يمشى : أتاه هرولة ويُجازي بالحسنة عشرًا ؛ إلى سبعمائة ضعف ؛ إلى أضعاف كثيرة ، وأما (العليم) : فهو الذي يعلم من يستحق الثواب الكامل بحسب نيته وإيمانه وتقواه فيشكره عليه ؛ ممن ليس كذلك .

فاقتران اسم الجلالة (الشاكر) باسم الجلالة (العليم) : يبعث الطمأنينة في نفس العامل ، ويُوحي إليه أن عمله لن يضيع ؛ لأنه معلوم عند الله سبحانه وتعالى ، وسيُجازيه عليه خير الجزاء ، ولا يبخسه ثوابه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [2] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٨/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ١٦٥/١ ، تيسير الكريم للرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٠٤/١ .

(٢) سورة النساء : الآية ٤٠ .

فإذا علم من حجَّ البيت أو اعتمر بأن ﴿ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ : فإنه يتطوع خيرًا[1] .

المطلب الحادي عشر : قول الله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [الآية : ١٦٠] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (التواب الرحيم) هو : رجوع الله سبحانه وتعالى على عباده بالعفو والصفح بعد الذنب إذا تابوا ؛ وعودته عليهم بالإحسان والنعم بعد المنع إذا آبوا ، وتوفيق الله سبحانه وتعالى لهم بالتوبة : من رحمته العظيمة الواسعة بهم .

واقتران اسم الجلالة (التواب) باسم الجلالة (الرحيم) : يقتضي أن التوبة تُذهب العقوبة ، والرحمة تجلب المثوبة[2] .

المطلب الثاني عشر : قول الله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [الآية : ١٦٣]

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الرحمن الرحيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى برحمته العظيمة التي لا يُماثلها رحمة أحد من المخلوقين ؛ والتي وسعت كل شيء ؛ وعمت كل حي : عرَّف عباده بأسماء جلالة ؛ وأوصاف كماله ، وأنه المستحق وحده للألوهية .

---

(١) انظر : بحر العلوم للسمرقندي ١/١٧١ ، معالم التنزيل للبغوي ١/١٧٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٧٢ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٣٤٤ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١١٦ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢/١٨٥-١٨٦ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٥٧ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٧٢ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١١٨ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢/١٩٦-١٩٧ .

وهذه الآية الكريمة نظير فاتحة الكتاب ، قول الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ [1] .

فالألوهية مبنية على الرحمة – وصفًا وفعلاً[2] .

المطلب الثالث عشر : قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية : ١٧٣] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الرحيم) هو : أن الإنسان مأمور بالأكل بحالة الضرورة ؛ إن كان غير قادر على الحلال ، من غير بغي ولا عدوان ولا مجاوزة للحدِّ ، إذ هو منهيٌّ أن يُلقي بنفسه إلى التهلكة وأن يقتل نفسه ، وهذه الإباحة والتوسعة من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده ، وهو غفور ؛ يغفر للإنسان ما أخطأ فيه في هذه الحال ، خصوصًا وقد غلبته الضرورة ؛ وأذهبت حواسه المشقة[3] .

المطلب الرابع عشر : قول الله تعالى : ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ١٨١] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى يسمع مقالة المرصي ، ويعلم نيته وما بدله من الوصية ، وفي هذا الختم أكبر تهديد ؛ وأخطر وعيد ، فينبغي للموصي أن

---

(١) سورة الفاتحة : الآيتان ٢-٣ .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١١٨/١-١١٩ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢٠٧/٢-٢٠٩ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٨٨/٢ ، معالم التنزيل للبغوي ١٨٤/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٨٢/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٢٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢٥٦/٢-٢٥٩ .

يراقب من يسمع أقواله ؛ ويعلم أفعاله ، لأنه لا يخفى عليه بشيء من ميل الموصين ؛ وتبديل المعتدين[1] .

المطلب الخامس عشر : قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية : ١٨٢] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الرحيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى غفور للميت الجائر في وصيته لأجل براءة ذمته بسبب مسامحة الموصى إليهم بعضهم بعضًا ، ورحيم بهم ، إذ شرع لهم كل إصلاح به يتسامحون ويتعاطفون[2] .

المطلب السادس عشر : قول الله تعالى : ﴿ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية : ١٩٢] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الرحيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى يغفر لمن انتهى عن كفره فأسلم؛ ولو حصل منه ما حصل من الكفر بالله سبحانه وتعالى ؛ والقتال في المسجد الحرام ؛ وصد الرسول ﷺ والمؤمنين عنه ، كما قال عمرو بن العاص ﷺ : (لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبى ﷺ فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه ، فقبضت يدي ، قال : مالك يا عمرو ؟ قلت : أردت أن أشترط قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لي . قال : أما علمت أن

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٢٣/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ١٨٢/١، تفسير القرآن للسمعاني ١٧٦/١ ، معالم التنزيل للبغوي ١٩٤/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٥/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣٧١/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٣٥/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣١٠/٢-٣١١ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٨٢/٢ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٣٥/١ .

الإسلام يهدم ما كان قبله ؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟)[1] .

فإن الرب تبارك وتعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب منه بعد إسرافه على نفسه في أيامه التي مضت ، وانتهى عن معاصيه التي سلفت ، وهذا من رحمته وبره ورأفته بعباده[2] .

المطلب السابع عشر : قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية : ١٩٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمى الجلالة (الغفور الرحيم) هو : أن ينبغي عليه أن يستغفر الله تعالى كلما فرغ من العبادة ، لأن العبد غير معصوم في عبادته من وقوع الخلل والزلل ؛ أو من التقصير في العمل ، بل العبد وإن جدَّ واجتهد في العبادة : فهو مقصرٌ بالنظر إلى كمال وجمال وجلال من يعبده .

والاستغفار في العبادة وعقيبها : هو هدي خاتم النبيين ﷺ ، وهذا هو حال المحسنين ، الذي تقرب منهم مغفرة ورحمة رب العالمين ، كما جاء في محكم الكتاب المبين : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [3] .

فاما الاستغفار في العبادة : فقد قال أبو بكر لرسول الله ﷺ : (علمني دعاء أدعو به في صلاتي وفي بيتي . قال : قل : اللهم إني ظلمت

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب الإيمان / باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج – الحديث رقم (١٢١) –١/١١٢].

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/١٩٣ ، معالم التنزيل للبغوي ١/٢١٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٢٥ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم)[1] .

وأما الاستغفار عقيب العبادة : فهو مَضمَّن في هذه الآية الكريمة ، وهو هدي النبي ﷺ في يومه وليلته ، كما قال ثوبان ﷺ : (كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته : استغفر ثلاثًا ، وقال : اللهم أنت السلام ، منك السلام ، تباركت ذا الجلال والإكرام)[2] .

فأرشد الرب تبارك وتعالى نبيه ﷺ وأمته إلى هذا الأمر الجليل ، ووعدهم بالمغفرة والرحمة والفضل الجزيل ، لا سيما في هذا الزمان والمكان الذي تتنزل فيه المغفرة والرحمة أعظم التنزيل[3] .

المطلب الثامن عشر : قول الله تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٠٩] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (العزيز الحكيم) هو : أن (العزيز) في قهره وانتقامه ؛ (الحكيم) في أمره وأحكامه ؛ ونقضه وإبرامه ، إذا زلَّ عبده عن بيِّنه : فإنه لا يعجزه ولا يمتنع منه ، بل يبطش به بعزته ، ويُعذِّبه بمقتضى حكمته ، فلا يفوته هارب ؛ ولا يغلبه غالب .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب الأذان / باب الدعاء قبل السلام – الحديث رقم (٨٣٤) – ١/٢٥٤] ، ومسلم في صحيحه [كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب استحباب خفض الصوت بالذكر – الحديث رقم (٢٧٠٥) –٤/٢٠٧٨] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته – الحديث رقم (٥٩١) –١/٤١٤] .

(٣) انظر : تفسير القرآن لابن كثير ١/٥٥٦-٥٥٧ الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٤٢٢ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٥٠ تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢/٤٣٠-٤٣١ .

وحكمة (الحكيم تقتضى أن يُقابل الأبرار بالثواب ؛ ويُقابل الفجار بالعذاب ، فواجب علم العباد بذلك حتى يُحذروا من الزلل الذي يعاقبون عليه[1] .

المطلب التاسع عشر : قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية : ٢١٨] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الرحيم) هو : أن هذه الأعمال الثلاثة وهى : الإيمان والهجرة والجهاد : هى عنوان السعادة ؛ وقطب رحى العبودية ، وأن القائمين بهذه الأعمال الثلاثة حقيق بأن يكونوا هم الراجين رحمة الله تعالى ، لأنهم بالأسباب الموجبة للرحمة ، لذا فقد أثنى الله تعالى على أصحاب نبيه ﷺ بهذه الأوصاف الثلاثة ، وهم (خيار هذه الأمة ، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب)[2] .

ولما تقتضيه الطبيعة البشرية من التقصير في العمل ؛ وما يطرؤ عليه من الخلل والزلل : ناسب ذكر اسم الجلالة (الغفور) .

ومن إحسان هؤلاء القائمين بهذه الأعمال الثلاثة أنهم آوو إلى ركن شديد ، فهم ركنوا إلى رحمة الله تعالى ؛ ولم يركنوا إلى أعمالهم ، فإنه لا غنى للعبد طرفة عين عن فضل الله تعالى ورحمته .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبرى ٣٢٦/٢ ، بحر العلوم للسمرقندى ١٩٧/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٦٦/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٢٨/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٥٣/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٠/٣ .

(٢) قاله الربيع رحمة الله تعالى ، كما أخرجه ابن جرير الطبري في جامعه ٣٥٦/٢ .

وتأمل في حال إمام المحسنين ؛ وسيد العاملين ؛ إذ يقول في هذا المقام ؛ عليه الصلاة والسلام : (قاربوا وسدّدوا ، واعملوا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله . قالوا : يا رسول الله ؛ ولا أنت ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)[1] .

ولا تعارض بين هذا الحديث القويم ؛ وبين ما جاء في محكم الذكر الحكيم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

لأن العمل المنفي غير العمل المثبت ، فالعمل المنفى : اعتقاد العامل استحقاقه دخول الجنة بمجرد عمله ؛ وكون العمل الذى عمله ثمنًا وعوضًا لدخول الحنة ، والعمل المثبت : اعتقاد العامل دخول الجنة بسبب عمله ؛ وكون العمل الذى عمله محض فضل الله ورحمته لدخول الجنة ، فالباء التي في الآيات الكريمة : (بما) : باء السبب ، أي : دخولكم الجنة بسبب أعمالكم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى – الحديث رقم (٢٨١٦) –٤/٢١٧٠] من حديث أبي هريرة ﷺ . ولفظ الحديث المتفق على صحته : لن يُدخل أحدًا منكم عملُه الجنةَ . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة) ، كما في صحيح البخاري [كتاب المرضى / باب نهى تمني المريض الموت – الحديث رقم (٥٦٧٣) – ٤/١٨١٦] ، وصحيح مسلم [كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى – الحديث رقم (٢٨١٦) –٤/٢١٧٠] من حديث أبي هريرة ﷺ .

التي هداكم الله تعالى ، والباء التي في الحديث الشريف : (بعملـه) : بـاء المقابلة ، أي : دخولكم الجنة ليس مقابلة ولا معاوضة ولا مثامنة لأعمالكم ٠

وما أحسن ما قاله بعض السلف رحمهم الله تعالى : (ينجون من النـار بعفو الله ومغفرته ، ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرتـه ، ويتقاسـمون المنازل بأعمالهم ٠

فهذا خلاصة الجمع بين هذه النصوص الشرعية ؛ المتعلقـة بمناسـبة ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الرحيم) ٠

المطلب العشرون : ﴿ قول الله تعالى : فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآية ٢٢٠]

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (العزيز الحكيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى مع عزَّته وقهره لكل شيء ؛ لكن حكمته تقتضي أن لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة ، ولا ينهـى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة ، وهذا لتمام حكمته ، ولو شـاء لـشقَّ عليكم فيما يشرعه لكم ؛ فقصرتم في القيام به ، فله العزة وله الحكم ، فلا رادَّ لأمره ؛ ولا معقب لحكمه[1] ٠

المطلب الحادي والعشرون : ﴿ قول الله تعـالى : وَلاَ تَجْعَلُـواْ اللّـهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَـمِيعٌ عَلِـيمٌ ﴾ [الآية ٢٢٤]٠

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣٧٥/٢ ، تفسير القرآن للسمعاني ٢٢١/١، معالم التنزيل للبغوي ٢٥٥/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٤٥/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٦٤/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٧٣/٣ ٠

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (سميع) لأقوال الحالفين ؛ (وسمع) لجميع ما يقال ، و(علم) بمقاصدهم ؛ و(عليم) بكل شيء ، فيجتازيهم عليها ، وهذا يقتضي التهديد لمن أظهر بلسانه ؛ ويتضمن الوعيد لمن أضمر بجنانه ؛ ما نُهي عنه ؛ وزُجر من[1] .

المطلب الثاني والعشرون : قال الله تعالى : ﴿ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [الآية ٢٢٥]

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الحليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (غفور) لمن تاب إليه ؛ وأناب وأقبل عليه ، و(حليم) بمن أعرض عنه ؛ وعصاه وشرد منه ، فمن حلمه أنه لم يعالجه بالعقوبة ؛ بل وعده إن تاب بالمغفرة والمثوبة ، مع قدرته عليه ؛ وكونه بين يديه ، وهذا يوجب عدم الإياس من رَوْحه ، وعدم الأمن من مكره، ومن جملة ما رفع الله تبارك وتعالى عنه المؤاخذة ما تلفَّظوا به من لغو اليمين ، وهذا من كمال مغفرته ورحمته بعباده المؤمنين .

وهذا الختم يفتح على الحالف باب الرجاء وحسن الظنَّ بالله تبارك وتعالى ، فإن الله تعالى (غفور) لمن حنث وكفَّر يمينه ، و(حليم) حيث رخَّص له في ذلك ولم يعنته[2] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٤٠٣-٤٠٤ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٤٥٣ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٦٧ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/٩١ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٤١٧ ، بحر العلوم للسمرقندي ١/٢٠٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير١/٦٠٤ ، الجواهر الحسان في نفسير القرآن للثعالبي ١/٤٥٥ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٦٨ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/٩٤ .

المطلب الثالث والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٢٦].

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الرحيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (غفور) ؛ يغفر للرجل ما سلف منه من التقصير في حقِّ زوجه ، ويغفر له بسبب رجوعه عن الحلف على ترك وطء زوجه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [١] ، وهو جلَّ جلاله (رحيم) ، حيث جعل ليمين الرجل كفارة وتحلَّة، ولم يجعلها لازمة له غير قابلة للأنفكاك ، و(رحيم) به لأن الجزاء من جنس العمل ، كما قال الصادق المصدوق ﷺ : (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٢] .

فكما رحم الرجل زوجه حيث فاء إليها ؛ وأقبل عليها : رحمة الله سبحانه وتعالى[٣] .

المطلب الرابع والعشرون : ﴿ قول الله تعالى : وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية ٢٢٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (سميع) لألفاظ الطلاق ؛ و(سميع) لجميع ما يقال ، و(عليم) بأحوال الفراق ؛ و(عليم) بكل حال[٤] .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه [كتاب البر والصلة / باب ما جاء في رحمة الناس – الحديث رقم (١٩٢٤) – ص٤٣٩] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٢١/٢ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٦٨/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٩٥/٣-٩٦ .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤٣٨/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢٠٧/١، تفسير القرآن للسمعاني ٢٢٨/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٢٦٥/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٩٦/٣ .

المطلب الخامس والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٢٨] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآيى الكريمة باسمي الجلالة (العزيز الحكيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (عزيز) ؛ له العزة القاهرة والسلطان العظيم ؛ الذي دانت له جميع الأشياء ، ولكن الله سبحانه وتعالى مع عزّته (حكيم) في تصرفه ، ومن ذلك ما يترتب على حكمته من أثر ، حيث شرع من الأحكام المتعلقة بالوفاق والفراق بين الزوجين ما فيه الحكمة البالغة ، فالله سبحانه وتعالى (عزيز) في انتقامه ممن ترتكب النواهي وغشي الزواجر ، و(حكيم) فيما أنزله من الشرائع والأوامر[1] .

المطلب السادس والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [الآية ٢٣٥] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغفور الحليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (غفور) ، يغفر لعبده ما صدر منه من الذنوب فتاب منها ؛ وأقلع عنها ، و(حليم) إذ لم يُعاجل عبده العاصي على معصيته ، مع قدرته على عقوبته ، ومن ذلك : ما أضمر في نفسه ، ،

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ٤٥٥/٢ ، بحر العلوم للسمرقندى ٢٠٨/١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦١٠/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٧١/١ ــ تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٠٧/٣ .

وأخفى في صدره ؛ من خطبة المعتدة وذكره إياها في حال عدتها ، فلم يُؤيسه من رحمته ، ولم يُقنطه من عائدته[1] .

المطلب السابع والعشرون : قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٤٠] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (العزيز الحكيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (عزيز) له العزة الكاملة ، و(حكيم) له الحكمة الكاملة ، وهذه الأحكام صدرت عن كمال عزته ، ودلت على كمال حكمته .

وختم الآية الكريمة بهذين الاسمين يقتضي التحذير من مخالفة أوامره الشرعية ، ويتضمن الوعيد من التعدي على أحكامه المرعية ؛ والتي منها : ما ألزم الله تعالى به النساء من التربص عند وفاة أزواجهن[2] .

المطلب الثامن والعشرون : ﴿ قول الله تعالى : وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٤٤] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (سميع) للأقوال وإن خفيت ، و(عليم) بما تحتوي عليه القلوب من النيات الطيبة أو الخبيثة ، و(عليم) بمن

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥٢٨/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢١٢/١، معالم التنزيل للبغوي ٢٨٣/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٤١/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٧٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٧٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ١٦١/٣-١٦٢ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥٨٣/٢ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٨٣/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٧٩/١ .

قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ؛ أو قاتل لعرض من أعراض الدنيا ، كما جاء في الحديث : (أن رجلاً أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله أعلى : فهو في سبيل الله)[1] .

فإذا علم المجاهد في سبيل الله تعالى أن الله (سميع) لأقواله ، (عليم) بأحواله : هان عليه القتال ، وعلم أنه بعينه ما يتحمله المتحملون من أجله ، وأنه لابد أن يمدهم الله سبحانه وتعالى بعونه ولطفه[2] .

المطلب التاسع والعشرون : قول الله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية : ٣٤٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الواسع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (واسع) ؛ له السعة في جميع أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، كما أنه سبحانه وتعالى (عليم) ؛ له العلم الكامل بكل شيء ، ومن سعة فضله وكرمه : الملك الذى يؤتيه من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب العلم / باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا – الحديث رقم (١٢٣) -١/٦٦] ، ومسلم في صحيحه [كتاب الإمارة / باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله – الحديث رقم (١٩٠٤) -٣/١٥١٢-١٥١٣] من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/٥٩١ ، بحر العلوم للسمرقندي ١/٢١٦، تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/٢٠٠ .

يشاء ، وأنه (عليم) بمن يستحق أن يكون ملكًا فيؤتيه الملك ؛ ممن لا يستحقه[1] .

المطب الثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الآية : ١٥٥] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (العلي العظيم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (عليٌّ) على جميع مخلوقاته بجميع أنواع العلو ، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر ، و(عظيم) جامع لجميع صفات العظمة في ذاته وسلطانه وصفاته ، فمن انفرد بالألوهية وكمل في حياته وقيوميته وملكه وعلمه وسعته وحفظه : هو المستحق للعلو على البرية، وهو المستحق للعظمة فلا يشركه في ملكه أحد من البشرية ، فلا إله غيره ؛ ولا رب سواه[2] .

المطلب الحادي والثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٥٦] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (السميع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (سميع) ؛ يسمع دعاء الداعين ؛

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٦٠٦/٢ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢١٦/١، تفسير القرآن للسمعاني ٢٥٠/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٦٦/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٩٠/١ تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢١٤/٣ .

(٢) انظر : بحر العلوم للسمرقندي ٢٢٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٨٧/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٢٥٦/٣ .

وتضرع المتضرعين ، و(عليم) بما أكنته الصدور ؛ وما خفي من بواطن الأمور ، فيُجازي كل أحد بحسب ما يعلمه من نيته وعمله ، فالله سبحانه وتعالى (سميع) لدعوة من دعى إلى الدين القويم ، و(عليم) بهداية من هُدي إلى الصراط المستقيم .

ومن ذلك : أن الله سبحانه وتعالى (سميع) لشهادة من شهد لله تعالى بالتوحيد والإيمان ، وكفر بما يعبد من دونه من الطغيان ، و(عليم) بمن استمسك بعروة الإسلام ؛ التي ليس لها انفصام[1] .

المطلب الثاني والثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٦٠] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (العزيز الحكيم) هو : أن البعث بعد الموت من أدل الدلائل وأبين البراهين على كمال عزة الله سبحانه وتعالى وكمال حكمته ، فالله تعالى (عزيز) في ملكة وتصرفه في الأمور ، و(حكيم) في البعث والنشور .

والرب تبارك وتعالى يقرن بين هذين الاسمين كثيرًا لأن العزيز من المخلوقين قد تفوته الحكمة ، فتكون عزته بطشًا وقهرًا وظلمًا ، والحكيم من المخلوقين قد تفوته العزة ، فتكون حكته ذلاً ومسكنة وهضمًا ، أما الله سبحانه وتعالى فهو (عزيز) في بطشه ، (حكيم) في أمره[2] .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢١/٣ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢٢٤/١ ، تفسير القرآن للسمعاني ٢٦٠/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٣١٤/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٥٠٦/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٨٨/١ .

(٢) قاله ابن إسحاق رحمه الله تعالى ، كما أخرجه ابن جرير الطبري في جامعة ٦٠/٣ .

ومن جمع بين العزة والحكمة : فقد صار إلى سلطان وقوة ومنعة ، فلا يغلبه شيء ؛ ولا يمتنع منه شيء ، فما شاء كان بلا مانع[1] .

المطلب الثالث والثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٦١] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الواسع العليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (واسع) له السعة الكاملة في جميع صفاته ، ومن ذلك : السعة في الرزق ، فهى كثيرة أكثر من الخلق ، فيرزق عن سعة من أنفق في سبيل الله تعالى الرزق الواسع ، ويخلف عليه أعظم مما أنفقه ، وهو سبحانه وتعالى (عليم) بما ينفقون ؛ و(عليم) بما ينوون ، فيعلم من يستحق ممن أنفق ابتغاء وجه ربه الجليل ، ويعلم من لا يستحق ممن أنفق إرادة عرض من أعراض الدنيا القليل[2] .

المطلب الرابع والثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٦٣] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغني الحليم) هو : أن الله سبحانه وتعالى (الغني) الذي كمل في غناه ،

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٦٠/٣ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢٢٨/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٩٠/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٩١/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣٠٢/٣ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ٦٢/٣ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢٢٨/١ ، تفسير القرآن للسمعاني ٢٦٨/١ معالم التنزيل للبغوى ٣٢٥/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٩٣ .

و(الحليم) الذي قد كمل في حلمه[1] ، فهو (غنيٌّ) عن صدقة المتصدق الذى يُتبع صدقته بالأذى ، وهو سبحانه وتعالى (غنيٌّ يُغني المتصدق ، ويخلف عليه ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [2] .

وهو سبحانه وتعالى (حليم) مع كمال غناه ، يحلم على من أتبع صدقته منًا وأذى ، فيحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنه ؛ فلا يُعالجه بالعقاب ، بل يمهله ويُعافيه ، ويرزقه ويدرُّ عليه خيره المستطاب[3] .

المطلب الخامس والثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [الآية : ٢٦٧] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الغني الحميد) هو : أن الله سبحانه وتعالى (غنيٌّ) عن نفقات المُنفقين ؛ وعن طاعات الطائعين ، ومع كمال غناه عنهم : فهو (حميدٌ) ، تسمى بالأسماء الحسنى ؛ واتصف بالأوصاف العلى التي يُحمد عليها ، ومن جملة ذلك : ما شرعه من الأحكام التي يُحمد عليها ، والتي تدور بين الفضل والعدل ، ومن ذلك : ما يقبله من القليل ، وما يُنيله من الجزيل .

---

(١) قاله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كما أخرجه ابن جرير الطبري في جامعة ٦٤/٣ .

(٢) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ٦٤/٣ ، بحر العلوم للسمرقندي ٢٢٩/١ ، تفسير القرآن للسمعاني ٢٦٩/١ ، معالم التنزيل للبغوى ٣٢٦/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٩٣/١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٥١٨/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٩٢/١ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣١٧/٣-٣١٨ .

والرب تبارك وتعالى غنيٌّ غِنى يُحمد عليه ، وهـذا بخـلاف غنـى المخلوق ، فإنه قد يُحمد على غناه إذ سلَّطه على نفقته بالحق ، وقد يذمُّ علـى غناه إذ ضنَّ به وبخل به عن الخلق ، وجعله عرضة للتلف والمحق .

فالرب تبارك وتعالى ما سألنا لحاجته إلينا ، بل سألنا تفضلاً علينـا ، فالرب تبارك وتعالى غير عديم ولا ظلوم ، أمرنا بالصدقة الطيبـة ليجزينـا عليها خير الجزاء ، ويخلف علينا واسع العطاء ، فمن أنفق : أنفـق لنفـسه ، ومن بخل : بخل عن نفسه ، كما قال تعالى : ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُـوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّـهُ الْغَنِـيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (١) .

فالله سبحانه وتعالى قد فرض ما يؤخذ من الأغنيـاء ؛ فيـرد علـى الفقراء : على وجه يُحمد عليه ؛ ليستغني بها العائل الكسير ، ويتقـوَّى بهـا الضعيف الفقير(٢) .

المطلب السادس والثلاثون : قول الله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية : ٢٦٨] .

وجه المناسبة – والله أعلم – في ختم هذه الآية الكريمة باسمي الجلالة (الواسع العليم) هو : الله سبحانه وتعالى (واسع) الأسماء والصفات ، قد وسع خلقه بالعطايا والهبات ، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريـرة ﷺ

---

(١) سورة محمد : الآية ٣٨ .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٨٧/٣ بحر العلوم للسمرقندي ٢٣١/١ ، تفسير القرآن للسمعاني ٢٧٢/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٣٣٣/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٩٩/١ ، الجواهر ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٥٢٤/١ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١٩٤/١-١٩٥ ــ تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣٤١/٣ .

أن رسول الله ﷺ قال : (قال الله عزَّ وجلَّ : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك . وقال : يد الله ملأى ، لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار . وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض : فإنه لم يغض ما في يده ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع)[1] .

والرب تبارك وتعالى مع ذلك (عليم) ، فعلمه واسع ، يعلم من يستحق المغفرة فيغفر له ، ومن يستحق الفضل فيتفضل عليه ، و(عليم) بمن ينفق ابتغاء الأجر ، غير مبالٍ بما يعده الشيطان من الفقر ، فيجازيه عليه في اليوم الآخر[2] .

* *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه [كتاب التفسير / باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ - الحديث رقم (٤٦٨٤) -٣/١٤٤٠] .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٣/٨٩ ، بحر العلوم للسمرقندي ١/٢٣١ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ١/٥٢٦ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٩٥ ، تفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/٣٥٠ .

الخاتمـــــة

وفى الختام أحمد الملك القدوس السلام ؛ على حسن توفيقه للتمام ، وأسأله في خاتمة كل عمل : مسك الختام .

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يوزعني شكر نعمته عليَّ ؛ بما أسداه من المفضل العظيم إليّ ، حيث هداني إلى تجبر هذه الآيات الكريمات ، واستخراج ما فيها من المناسبات ، مما له تعلق بالأسماء والصفات ، وقد استفدت منه جملة من الفوائد ، كما جنيت منه عدة من العوائد ، فمن ذلك :

١- أن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا ريب أن العلم بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله المحكمة : أجل العلوم وأفضلها .

٢- أن الجمع بين تخصُّصي التفسير والعقيدة : يؤكد أن القرآن الكريم هو مصدر تلقى مباحث الاعتقاد المفيدة ، وبإزائه السنة الشريفة ؛ التي تفسر معانيه المنيفة .

٣- إن الآيات الكريمة منها ما ختم بالأسماء الحسنى المفردة ، ومنها ما ختم بالأسماء الحسنى المقترنة .

٤- إن أسماء الربِّ تبارك وتعالى كلها أسماء مدحٍ ، ولو كانت أسماء مجردةً لا معاني لها : لم لها : لم تكن حسن

٥- إن أسماء الله تعالى تطابق العلمية فيها الوصفية ، ولو كانت أعلامًا محضة : لم يكن فَرْقُ بين ختم الآية بهذا الاسم أو ختمها بهذا الاسم .

٦- إن من وجوه الكمال في أسماء الرب تبارك وتعالى التي بلغت في الحسن غايته ، ترادفها بالنظر إلى الذات المقدسة ؛ وتباينها بالنظر

إلى الصفات العلي ، لذا جاء اقتران الاسمين من أسماء الله الحسنى في ختم الآيات القرآنية الكريمة .

فهذه خاتمة استملت على موجز ما تقدم بمقتضب الخطاب ، فما كان في هذا البحث من صواب : فهو منّة المنان وهبة الوهاب ، ومن كان فيه من خطأ أو نسيان : فمن نفسي ومن الشيطان ، والله تعالى ورسوله ﷺ منه بريئان .

والله سبحانه المسؤول ؛ والمرغوب إليه والمأمول : أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم ، هاديًا إلى الصراط المستقيم ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، إنه قريب لمن دعاه ، سميع لمن ناجاه .

والحمد لله رب العالمين ، و ﷺ على خاتم النبيين ، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين .

* *